

مجمع الأمثال

2925 - قَدَّوْ وَ قَعَّ بَيْدَنَهُمْ حَرْبُ دَا حَسِّ وَالْغَبْرَاءِ .

قَالَ المفضل : داحسُ فرسُ قيس بن زهير ابن جَذِيمَةَ الْعَبْسِيِّ وَالْغَبْرَاءِ : .
فرسُ حُذَيْفَةَ ابْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيِّ وَكَانَ يُقَالُ لِحُذَيْفَةَ هَذَا " رَبُّ مَعْدٍ " فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِمَا أَنَّ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْسٍ يُقَالُ لَهُ قِرُّوْ وَ أَشُّ بْنُ هَنْى كَانَ يُدَارِي حَمْلَ بْنِ بَدْرٍ أَخَا حُذَيْفَةَ فِي دَا حَسِّ وَالْغَبْرَاءِ فَقَالَ حَمْلٌ : الْغَبْرَاءُ أَجُودُ وَقَالَ قِرُّوْ أَجُودُ دَا حَسِّ أَجُودُ فَتَرَاهُنَا عَلَيْهِمَا عَشْرًا فِي عَشْرٍ فَأَتَى قِرُّوْ وَ أَشُّ قَيْسَ بْنَ زُهَيْرٍ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ لَهُ قَيْسٌ : رَاهُنْ مَنْ أَحَبَّتْ وَجَدَّ بَنِي بَدْرٍ فَإِنَّهُمْ يَظْلِمُونَ لِقُدْرَتِهِمْ عَلَى النَّاسِ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَنَا نَكِيدُ أَبَاءَ فَقَالَ قِرُّوْ وَ أَشُّ : إِنِّي قَدْ أَوْجَدْتُ الرِّهَانَ فَقَالَ قَيْسٌ : وَيْلَكَ مَا أُرِدْتُ إِلَّا أَشَامُ أَهْلِ [ص 111] بَيْتِ وَاءٍ لِتَشْعَلْنَ عَلَيْنَا شَرًّا ثُمَّ إِنَّ قَيْسًا أَتَى حَمْلَ بْنَ بَدْرٍ فَقَالَ : إِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ لِأَوَاضِعِكَ الرِّهَانَ عَنْ صَاحِبِي فَقَالَ : لَا أَوَاضِعُكَ أَوْ تَجِيءُ بِالْعَشْرِ فَإِنْ أَخَذْتُهَا أَخَذْتُ سَبْقِي وَإِنْ تَرَكْتُهَا رَدَدْتُ حَقًا قَدْ عَرَفْتَهُ لِي وَعَرَفْتَهُ لِنَفْسِي فَأَوْفَظَ قَيْسًا فَقَالَ : هِيَ عَشْرُونَ قَالَ حَمْلٌ : هِيَ ثَلَاثُونَ فَتَلَا جَسًّا وَتَزَايَدَا حَتَّى بَلَغَ بِهِ قَيْسٌ مِائَةً وَوَضَعَ السَّبْقَ عَلَى يَدِي غَلَاقَ أَوْ ابْنِ غَلَاقَ أَحَدِ بَنِي ثَعْلَبَةَ ابْنِ سَعْدٍ ثُمَّ قَالَ قَيْسٌ : وَأَخِيرُكَ بَيْنَ ثَلَاثٍ فَإِنْ بَدَأْتَ فَاخْتَرْتُ فَلَى مِنْهُ خَصْلَتَانِ قَالَ حَمْلٌ : فَا بَدَأْ قَالَ قَيْسٌ : فَإِنَّ الْغَايَةَ مِائَةُ غَلَاوَةٍ وَإِلَيْكَ الْمِصْمَارُ وَمُنْتَهَى الْمِيطَانِ - أَيِ حَيْثُ يُوْطِنُ الْخَيْلُ لِلْسَبْقِ - قَالَ : فَخَرَّ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ مُحَارِبٍ فَقَالَ : وَقَعَ الْبَأْسُ بَيْنَ ابْنِي بَغْرِيسٍ فَضَمَرُوهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الَّذِي ذَرَعَ الْغَايَةَ بَيْنَهُمَا مِنْ ذَاتِ الْإِمَادِ وَهِيَ رِدْهَةٌ وَسَطَ هَضْبُ الْقَلْبِ فَا نْتَهَى الذَّرْعُ إِلَى مَكَانٍ لَيْسَ لَهُ اسْمٌ فَقَادُوا الْفَرَسَيْنِ إِلَى الْغَايَةِ وَقَدْ عَطَّ شَوْهُمَا .

وَجَعَلُوا السَّابِقَ الَّذِي يَرِدُ ذَاتَ الْإِمَادِ وَهِيَ مَلَأَى مِنَ الْمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّ قِصْبَةٌ وَلَا غَيْرُهَا وَوَضَعَ حَمْلٌ حَيْسًا فِي دَلَاءٍ وَجَعَلَهُ فِي شَعْبٍ مِنْ شُرَعَابٍ .

هَضْبُ الْقَلْبِ عَلَى طَرِيقِ الْفَرَسَيْنِ فَسُمِيَ ذَلِكَ الشَّعْبُ " شَعْبُ الْحَيْسِ " لِهَذَا وَكَمُنَ مَعَهُ فَتَيَانَا فِيهِمْ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ زُهَيْرُ بْنُ عَبْدِ عَمْرٍو وَأَمْرُهُمْ إِنْ جَاءَ دَا حَسِّ سَابِقًا أَنْ يَرُدُّوا وَجَّهَهُ عَنِ الْغَايَةِ وَأَرْسَلُوهُمَا مِنْ مُنْتَهَى الذَّرْعِ فَلَمَّا طَلَعَا قَالَ حَمْلٌ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ فَقَالَ قَيْسٌ : بَعْدَاطٍ لِي نَاسٌ .

فَذَهَبَتْ مَثَلًا ثُمَّ أَجَدَّهَا فَقَالَ حَمْلٌ : سَبَقْتُكَ يَا قَيْسُ فَقَالَ : رَوِيدًا يَعْدُونَ الْجَدِّدَ أَيِ يَتَعَدِّيهِ إِلَى الْوَعَثِ وَالْخَبَارِ فَذَهَبَ مَثَلًا فَلَمْ دَنُوا وَقَدْ بَرَزَ دَا حَسِّ قَالَ قَيْسٌ : جَرَى الْمُذَكَّرِيَّاتِ غِلَابٌ وَيُقَالُ " غِلَاءٌ " كَمَا يَتَغَالَى بِالْغُلَابِ فَذَهَبَتْ مَثَلًا فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْفَتِيَةِ

وثب زهير فَلَطَمَ وَجْهَ داحس فردَّه عن الغاية ففي ذلك يقول قيس ابن زهير :

كَمَا لَا قَيْتَ مِنْ حَمَلٍ بَنٍ بِدَّرٍ ... وإخوتيه عِلَى ذاتِ الإصَادِ .

هُمُ فَخَرُوا عِلَى بَغْيِرٍ فَخَرٍ ... وَرَدُّوا دُونَ غَايَتِهِ جَوَادِي .

فَقَالَ قيس : يا حذيفة : أعطوني سبقي قَالَ حذيفة خدعتك فَقَالَ قيس : تَرَكَ

الْخِدَاعَ مَنْ أَجْرَى مِنْ مِائَةٍ فَذهبت مثلاً فَقَالَ الذي وضع السَّبْقَ .

على يديه لحذيفة : إن قيساً قد سَبَقَ وإنما أردت أن يُقَالَ : سَبَقَ حذيفة وقد قيل

أفادفع إليه سبقه ؟ قَالَ نعم فدفع إليه الثعلبي السبق ثم إن عركى بن عميرة وابن عمَّ

له من فَرَارَةِ نَدَمًا [ص 112] حُذِيفَةُ وَقَالَ : قد رأى الناس سبقَ جوادك وليس كل

الناس رأى أن جَوَادَهُمْ لَطُمَ فَدَفَعُكَ السَّبْقَ تحقيقٌ لدعواهم فاسلُبْهُمْ السبق فإنه

أقصر باعاً وأكلٌ حَدَسًا من أن يردك .

قَالَ لهما : ويلكما أراجع فيهما متندما على ما فَرَطَ ؟ عَجَزُ وَإِ فَمَا زَالَا .

به حتى ندم فَنَهَى حَمِيصَةَ بن عمرو حذيفة وَقَالَ له : إن قيساً لم يسبقك إلى مَكْرُومَةٍ

بنفسه وإنما سَبَقَتْ دَابَّةٌ دَابَّةً فما في هذا حتى تدعى في العرب .

ظُلُومًا ؟ قَالَ : أَمَّا إِذَا تَكَلَّمْتَ فَلَا بَدَّ مِنْ أَخْذِهِ ثم بعث حذيفة ابنه أبا قرفة إلى قيس

يطلب السبق فلم يصادفه فَقَالَتْ له امرأته هر بنت كعب : ما أَحَبَّ أَنْكَ صَادَفْتَ قيساً فرجع

أبو قرفة إلى أبيه فأخبره بما قَالَتْ فَقَالَ : وَإِ لتعودَنَّ إِلَيْهِ وَرَجَعَ قيس فأخبرته

امرأته الخبر فأخذت قَيْسًا زَفْرَاتٍ فَأَقْبَلَ مُتَقَلِّبًا ولم ينشَبْ أَبُو قرفة أن رجع إلى قيس

فَقَالَ : يقول أبي : أعطني سَبْقِي فتناول قيس الرمح قطعنه فدق مِطْلَبُهُ وَرَجَعَتْ فرسه

عائرة فاجتمع الناس فاحتملوا دية أبي قرفة مائة عُشْرَاءَ فَقَبِضَهَا حَذِيفَةُ وَسَكَنَ الناس

فَأَنْزَلَهَا على النفرة حتى نتجها ما في بطونها .

ثم إن مالك بن زهير نزل اللقطة - وهي قريب من الحاجر - وكان نكح من بني فَرَارَةِ

امْرَأَةً فَأَتَاهَا فَبْنَى بها وأخبره حذيفة بمكانه فعدَا عليه فقتله وفي ذلك يقول عنتره :

عَيْدَنَا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَالِكٍ ... عَقِيرَةَ قَوْمٍ أَنْ جَرَى فَرَسَانِ .

فَلَا يَتَهُمًا لَمْ يَجْرِ يَا نِصْفَ غُلُوءَةٍ ... وليتهما لم يُرْسَلَا لِرِهَانِ .

فَأَتَتْ بنو جذيمة حذيفة : فَقَالَتْ بنو مالك بن زهير لمالك بن حذيفة : رُدُّوا عَلَيْنَا

مَالَنَا فَأشار سنان ابن أبي حارثة المُرِّي على حذيفة أن لا يرد أولادها معها وأن يرد

المائة بأعيانها فقال حذيفة : أَرَدَ الْإِبِلَ بِأَعْيَانِهَا وَلَا أَرَدَ النَّسْلَ فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا ذَلِكَ

فَقَالَ قيس بن زهير :

يَوَدُّ سِنَانٌ لَوْ يُحَارِبُ قَوْمَنَا ... وفي الحربِ تَفَرُّيقَ الْجَمَاعَةِ وَالْأَزْلُ .

يَدُبُّ وَلَا يَخْفَى لِيُفْسِدَ بَيْدَنَا ... دَبِيبًا كَمَا دَبَّتْ إِلَى جُحْرِهَا

الذِّمْلُ .

فيا ابْنِيْ بَغِيضِ رَاجِعَا السَّلاَمَ تَسْلَامًا ... ولا تَشْمِتَا الأعداءَ يَفْتَرِقَ
الشِّمْلُ .

وإن سبيلَ الحربِ وعَرْ مُضِلَّةٌ ... وإن سبيلَ السَّلامِ آمنةٌ سَهْلٌ .

قَالَ : والربيع بن زياد يومئذ مجاورُ بني فزارة عند امرأته وكان مُشَاحِنًا لقيس في
درعه ذي النور كان الربيع لَدَيْسَهَا فَقَالَ : ما أجودَهَا أنا أحقَ بها منك وغَلَابَه [ص
113] عليها فأطردَ قيسَ لَدِيُونًا لبني زياد فعارض بها عبد الله بن جدعان التَّيْمِي بِسِلَاح
وفي ذلك يقول قيس بن زهير :

لَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي ... بِمَا لَاقَتْ لَدِيُونُ بَنِي زِيَادٍ .

وَمَحْبِسُهَا لَدَى الْقُرْشِيِّ تَشْرَى ... بِأَفْرَاسٍ وَأَسْيَافٍ حِدَادٍ .

فلما قتلوا مالك بن زهير تَوَاحَوْا بينهم فَقَالُوا : ما فعل حماركم ؟ قَالُوا : صدناه
قَالَ الربيع : ما هذا الوحي ؟ إن هذا الأمر ما أدري ما هو قَالُوا : قتلنا مالك بن زهير
قَالَ : بنسما فعلتم بقومكم قبلتم الدية ورضيتم ثم عَدَوْتُمْ على ابن عمكم وصهركم

وجاركم فقتلتموه وغدرتم قَالُوا : لولا أنك جَارٌ لقتلناك وكانت خفرة الجار ثلاثاً فقالوا
: لك ثلاثة أيام فخرج وأتبعوه فلم يدركوه حتى لحقَ بقومه وأتاه قيس بن زهير فصالحه ونزل
معه ثم دَسَّ أمةً له يُقَالُ لها رعية إلى الربيع تنظر ما يعمل فدخلت بين الكفاء والقصد
لتنظر أمحارب هو أم مسالم فأتته امرأته تعرض له وهي على طُهُرٍ فَزَجَرَهَا (في نسخة "
فدحرها " والمعنى واحد) وَقَالَ لجاريته : اسقيني فلما شرب أنشأ يقول :

مُنْعَ الرَّقَادِ وَمَا أُغْمِضُ حَارِي ... جَلَالُ مِنَ الذِّبَالِ الْمُهِمِّ
السَّارِي .

مَنْ كَانَ مَحْزُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ ... فَلَا يَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ
نَهَارٍ .

يَجِدُ النِّسَاءَ حَوَاسِرًا يَنْدُبُنَّهُ ... يَلَاطُمُنَّ أَوْجُهُهُنَّ بِالْأَسْحَارِ .
أَفْبَعْدَ مَقْتَلِ مَالِكِ بنِ زهير ... تَرْجُو النِّسَاءَ عَوَاقِبَ الْأَطْهَارِ .
فأت رعية قيساً فأخبرته خبر الربيع فَقَالَ : أنت حرة فأعتقها وَقَالَ وثقت بأبي منصور
وَقَالَ قيس :

فَإِنْ تَكُ حَرًّا بِكُمْ أُمُوسَتٌ عَوَانًا ... فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ مِمَّنْ جَنَاهَا .

وَلَكِنْ وَلِدٌ سَوْدَةٌ أَرَّ ثُوهًا ... وَحَشُّوا نَارَهَا لِمَنْ أَصْلَاهَا .

فإنِّي غَيْرُ خَاذِلِكُمْ . وَلَكِنْ ... سَأُسْغَى الْآنَ إِذْ بَلَغَتْ مَدَاهَا .

ثم قاد بني عبس وحلفاؤهم بني عبد الله بن غطفان يوم ذي المريقب إلى بني فزارة

ورئيسهم إذ ذاك حُذِيفَةُ بْنُ بَدْرٍ فالتقوا فقتل أوطاة أحد بني مخزوم من بني عيس عوف بن بدر وقتل عنتره مضمما ونفرا ممن لا يعرف اسمهم وفي ذلك يقول :
وَلَقَدْ دَخَشَيْتُ بَأْنَ أَمْوَتَ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْحَرْبِ دَائِرَةٌ عَلَى ابْنِي
ضَمَّ ضَمَّ .

الشَّاتِمَى عِرْضِي وَلَمْ أَشْتَمِهَا ... وَالذَّادِرَيْنِ إِذَا لَمْ الْقَهْمَا دَمِي [ص 114] .

إِنْ يَفْعَلَا فَلَقَدْ تَرَكْتُ أَبَاهُمَا ... جَزَرَ السَّبَاعِ وَكُلَّ نَسْرِ
قَشَعَمَ .
وقال : .

وَلَقَدْ عَلِمْتُ إِذَا التَّقَتِ فُرْسَانُنَا ... بِلِوَى الْمُرِيقِبِ أَنْ طَنَّاكَ
أَحْمَقُ .
يوم ذي حسي .

ثم إن بني ذُبْيَانَ تجمَّعوا لما أصاب بنو عَبَسَ منهم أصابوا فَعَزَّوْا - ورئيسهم حذيفة بن بدر - بني عيس وحلفاءهم بنى عبد الله بن غطفان ورئيسهم الربيع بن زياد فتوافوا بذئ حسي وهو [من] وادي الهذلاء في أعلاه فهزمت بنو عيس واتبعتهم بنو ذُبْيَانَ حتى لحقوهم بالمغيقة - ويقال : بغيقة - فَقَالَ : التفاني أو تقيدونا فأشار قيس على الربيع بن زياد أن يماكرهم وخاف إن قاتلوهم أن لا يقوموا لهم وَقَالَ : إنهم ليسوا في كل حين يتجمعون وحذيفة لا يستنفر أحداً لاقتداره وعُلُوِّه ولكن نعطيهم رهائن من أبنائنا فندفع حدهم عنا فإنهم لن يقتلوا الوالدان ولن يصلوا إلى ذلك منهم مع الذين نضعهم على أيديهم وإن هم قتلوا الصبيان فهو أهون من قتل الآباء وكان رأى الربيع مُنَاجِزَتَهُمْ فَقَالَ : يا قيس أَتَذْفُخُ سَحْرَكَ ؟ وملاً جَمْعُهُمْ صَدْرَكَ وَقَالَ الربيع : .
أَقُولُ ولم أمالك لِقَيْسٍ نَصِيحَةً ... أرى ما يَرَى وَالْغَيْبِ أَعْلَمُ .
أَنْبِئْنِي عَلَى ذُبْيَانَ مَنْ بَعْدَ مَالِكٍ ... وَقَدْ حَشَّ جَانِبِي الْحَرْبِ نَاراً
تَضَرَّعُ .

وقال قيس : يا بني ذُبْيَانَ خُذُوا منا رهائن ما تطلبون ونرضاكم إلى أن تنظروا في هذا فقد ادعيتم ما نعلم وما لا نعلم ودعونا حتى نتبين دعواكم ولا تعجلوا إلى الحرب فليس كل كثير غالباً وضَّعوا الرهائن عند مَنْ ترضون به ونرضى به فقبلوا ذلك وتراضوا أن تكون الرهائن عند سبيع بن عمرو الثعلبي فدفَعُوا إليه عِدَّةً من صبيانهم وتكافَّ الناسُ فمكثوا عند سبيع حتى حضره الموتُ فَقَالَ لابنه مالك : إن عندك مكرمة لن تبديد إن احتفظت بهؤلاء الأغنياء لِمَمَّةٍ وكأني بك لو قد مُتُّ أَتَاكَ خَالُكَ حذيفة - وكانت أم مالك أخت حذيفة

- يَعْصِرُ عَيْنِيهِ وَيَقُولُ : هَلْكَ سَيْدُنَا ثُمَّ يَخْدَعُ عَنْهُمْ حَتَّى تَدْفَعَهُمْ إِلَيْهِ فَيَقْتُلُهُمْ ثُمَّ لَا تَشْرُفُ بَعْدَهَا أَبَدًا فَإِنْ خَفْتَ ذَلِكَ فَادْهَبِ بِهِمْ إِلَى قَوْمِهِمْ فَلَمَّا ثَقُلَ سَبِيْعٌ جَعَلَ حَذِيْفَةَ يَبْكِي وَيَقُولُ : هَلْكَ سَيْدُنَا فَلَمَّا هَلْكَ طَافَ بِمَالِكَ وَعَطَّ مَمَّهُ ثُمَّ قَالَ : أَنَا خَالُكَ وَأَسَنُّ مِنْكَ فَادْفَعْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ الصَّبِيَّانَ يَكُونُونَ عِنْدِي إِلَى أَنْ نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا فَإِنَّهُ قَبِيْحٌ أَنْ تَمْلِكَ [ص 115] عَلَى شَيْئًا وَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى دَفَعَهُمْ إِلَيْهِ فَلَمَّا صَارُوا عِنْدَهُ أَتَى بِهِمُ الْيَعْمَرِيَّةُ - وَهُوَ مَاءُ بَوَادٍ مِنْ بَطْنِ نَخْلٍ - وَأَحْضَرَ أَهْلَ الَّذِينَ قَتَلُوا فَجَعَلَ يَبْرِزُ كُلَّ غُلَامٍ مِنْهُمْ فَيَنْصِبُهُ غَرَضًا وَيَقُولُ لَهُ : نَادِ أَبَاكَ فَيَنَادِي أَبَاهُ فَلَمْ يَزَلْ يَرْمِيهِ حَتَّى يَخْرُقَهُ فَإِنْ مَاتَ مِنْ يَوْمِهِ ذَاكَ وَإِلَّا تَرَكَهُ إِلَى الْغَدِ ثُمَّ يَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى يَمُوتَ فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَنِي عَبْسٍ أَتَوْهُمُ بِالْيَعْمَرِيَّةِ فَقَتَلَتْ بَنُو عَبْسٍ مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ مَالِكٌ وَيزِيدُ ابْنَا سَبِيْعٍ وَعَرْكِيُّ بْنُ عَمِيرَةَ وَقَالَ عَنْتَرَةُ فِي قَتْلِ عَرْكِيِّ :

سَائِلٌ حُذِيْفَةَ حَرِيْنٍ أَرَشَّ بِسَيْدِنَا ... حَرُّبًا ذَوَائِبُهَا بِمَوْتٍ تَخْفِقُ
(فِي دِيْوَانِ عَنْتَرَةَ " حِينَ أَرِثَ بَيْنَنَا ") .

وَأُسْأَلُ عُمَيْرَةَ حَرِيْنٍ أَجْلَبَ خَيْلُهَا ... رَفَضَا غَرِيْنَ بِأَيِّ حَيٍّ تَلْجَأُ
يَوْمَ الْهَبَاءَةِ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ تَجَمَّعُوا فَالْتَقَوْا إِلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ فِي يَوْمٍ قَائِظٍ فَاقْتَتَلُوا مِنْ بُكْرَةٍ حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارُ وَحَجَزَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ وَكَانَ حَذِيْفَةُ يَحْرِقُ رُكُوبَ الْخَيْلِ فُخْذِيهِ وَكَانَ ذَا خَفْضٍ فَلَمَّا تَحَاجَزُوا أَقْبَلَ حَذِيْفَةُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ إِلَى جَفْرِ الْهَبَاءَةِ لِيَتَبَرَّ دُؤَا فِيهِ فَقَالَ قَيْسُ لِأَصْحَابِهِ : إِنْ حَذِيْفَةُ رَجُلٌ مَحْرَقُ الْخَيْلِ نَازِهِ .

وَإِنَّهُ مُسْتَنْقَعُ الْآنَ فِي جَفْرِ الْهَبَاءَةِ هُوَ وَإِخْوَتُهُ مَا نَهَضُوا فَاتَّبَعُوهُمْ فَنَهَضُوا وَأَتَوْهُمْ وَنَظَرَ حَصْنُ بْنُ حُذِيْفَةَ إِلَى الْخَيْلِ - وَيَقَالَ : عُيَيْنَةُ بْنُ حَصْنٍ - فَبَعَلَ (بَعَلَ - عَلَى مِثَالِ فَرَسٍ - دَهْشٌ وَفَرْقٌ) وَانْهَدَرَ فِي الْجَفْرِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : مَنْ أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيْكُمْ أَنْ يَقِفَ عَلَى رُؤُسِكُمْ ؟ قَالَوا : قَيْسُ وَالرَّبِيعُ قَالَ : فَهَذَا قَسِيٌّ قَدْ جَاءَكُمْ فَلَمْ يَنْقَضْ كَلَامُهُ حَتَّى وَقَفَ قَيْسٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى شَفِيرِ الْجَفْرِ وَقَيْسٌ يَقُولُ : لِبَيْكُمْ لِبَيْكُمْ - يَعْنِي الصَّبِيَّةَ - وَفِي الْجَفْرِ حَذِيْفَةُ وَ مَالِكٌ وَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ فَقَالَ حَمَلُ بْنُ بَدْرِ : نَشَدُوكَ الرَّحْمَ يَا قَيْسُ فَقَالَ قَيْسُ : لِبَيْكُمْ لِبَيْكُمْ فَعَرَفَ حَذِيْفَةُ أَنَّ لَنْ يَدْعَهُمْ فَذَهَرَ حَمَلًا وَقَالَ : إِيَّاكَ وَالْمَأْثُورَ فِي الْكَلَامِ وَقَالَ حَذِيْفَةُ : بَنُو مَالِكٍ بِمَالِكَ وَبَنُو حَمَلٍ بِذِي الصَّبِيَّةِ وَنَرَدُّ السَّيْقَ قَالَ قَيْسُ : لِبَيْكُمْ لِبَيْكُمْ قَالَ حَذِيْفَةُ لَنْ قَتَلْتَنِي لَا تَصْطَلِحُ غَطْفَانِ أَبَدًا قَالَ قَيْسُ : أَبْعَدَكَ □ قَتْلُكَ خَيْرٌ لْغَطْفَانِ سِيرْبَعٌ عَلَى قَدْرِهِ كُلِّ سَيْدٍ ظُلُومٌ وَجَاءَ قَرْرُ وَاشِ بْنِ هَنْئٍ مِنْ خَلْفِ حَذِيْفَةَ فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ

: احذر قرواشا - وكان قد رباه فطن أنه سيشكر ذاك له - قَالَ : خَلَّوْا بين قرواش وظهري
فنزع له قرواش بِمِعْصِلَةٍ (المعيلة : النصل الطويل العريض) فقصم بها صُلْبِه وابتدره
الحارث بن زهير وعمر بن الأسلع [ص 116] فضرباه بسيفهما حتى ذَفَّفَا عليه وأخذ
الحارث بن زهير سيفَ حذيفة ذا النون - ويقال : إنه كان سيف مالك بن زهير أخذه حذيفة
يوم قتل مالك - وَمَذَّطُوا بحذيفة فقطعوا مَذَاكيره فجعلوها في فمه وجعلوا لسانه في
اسْتِه - ورمى جنيد بن زيد مالك بن بدر بسهم فقتله وكان نذر ليقْتَلَنَّ - بابنه رجلا من
بني بدر فأحلَّ به نذره وقتل مالك بن الأسلع الحارث بن عوف بن بدر بابنه .
واستصغروا عُيَيْنَةَ بن حصن فخلَّوْا سبيله وقتل الربيع بن زياد حملَ بن بدر فَقَالَ
قيس بن زهير يرثيه : .

تَعَلَّامٌ أَنْ - خَيْرَ النَّاسِ طُرًّا ... عَلَيَّ جَفَرُ الهَبَاءِ لَا يَرِيمُ .
فَلَا وَلاَ طُلَامُهُ مَازَلْتُ أَبْكِي ... عَلَيَّهِ الدَّهْرُ مَا طَلَعَ النَّجُومُ .
وَلَكِنَّ - الْفَتَى حَمَلَ بْنَ بَدْرِ ... بَغَى وَالبَغْيُ مَرُّ تَعُهُ وَخَيْمُ .
أَطْنُّ الْحَلَمِ دَلَّ - عَلَيَّ قَوْمِي ... وَقَدَّ يُسْتَجْهَلُ الرَّجُلُ الْحَلِيمُ .
أَلَا قِي مِنْ رَجَالٍ مُذْكَرَاتٍ ... فَأَزْكُرُهَا وَمَا أَنَا بِالطَّالُومِ .
(هذا البيت ساقط من أكثر المراجع وفيه الإقواء .)
وَمَارَسَتْ الرِّجَالَ وَمَا رَسُونِي ... فَمُعْجُوجٌ عَلَيَّ وَمُسْتَقِيمُ .
وقال زبان بن زياد يذكر حذيفة وكان يحسد سؤدده : .
وإنَّ قَتِيلًا بالهَبَاءِ فِي اسْتِه ... صَحِيْفَتُهُ إِنْ عَادَ لِلطُّلَامِ طَالِمُ .

مَتَى تَقْرَؤَهَا تَهْدِكُمْ مِنْ ضَلَالِكُمْ ... وَتُعْرِفُ إِذَا مَا فُضَّ عَنْهَا
الْخَوَاتِيمُ .
فإن تسألوا عَنْهَا فَوَارِسَ دَاحِسٍ ... يُنْبِئُكَ عَنْهَا مِنْ رَوَاحَةِ عَالِمِ .
ونعى ذلك عقيل بن عُلَّاقَةَ عَلَيَّ عُوَيْفِ القَوَافِي حين هاجاه فَقَالَ : .
ويُوقِدُ عَوْفُ للعشيرة نَارَهَا ... فَهَلَّا - عَلَيَّ جَفَرُ الهَبَاءِ أَوْقَدَا .
فإنَّ عَلَيَّ جَفَرُ الهَبَاءِ هَامَةٌ ... تُنَادِي بَنِي بَدْرِ وَعَارًا مُخَلَّدَا .
وإنَّ أَبَا وَرْدٍ حُذَيْفَةَ مُثْفَرٍ ... بِأَيْرِ عَلَيَّ جَفَرُ الهَبَاءِ أَسْوَدَا .
وقالت بنت مالك بن بدر ترثي أباه : .
إِذَا هَتَفَتْ بِالرَّقْمَتَيْنِ حَمَامَةٌ ... أَوْ الرَّسَّ فابْكِي فَارِسَ الْكَتِفَانِ

أَحْلَسَ بِهِ أَمْسَ الْجَنِيدُ نَذْرَهُ ... وَأَيُّ قَتِيلٍ كَانَ فِي غَطَفَانَ ؟ .
يوم الفَرُّوق .

فلما أصيبت يوم الهَبَاءِ استعظمت غَطَفَانَ قتل حُذَيْفَةَ وكبر ذلك عندها [ص 117] .
فَتَجَمَّعُوا وعرفت بنو عبس أن لا مقام لهم بأرض غَطَفَانَ فخرجت متوجهة نحو اليمامة
يطلبون أحوالهم وكانت عبلة بنت الدؤل بن خنيفة أم رَوَاحَةَ فأتوا قتادة بن سلمة فنزلوا
اليمامة زميناً فمر قيس ذات يوم مع قتادة فرأى قَحْفَلًا فَضَرَبَهُ برجله وقال : كم من
ضَيْمٍ قد أقررت به مخافة هذا المصرع ثم لم تنشل منه فلما سمعها قتادة كرهَهَا
وأَوْجَسَ منه فَقَالَ : ارتحلوا عنا فارتحلوا حتى نزلوا هَجَرَ بني سعد زيد مَنَازَةَ بن
تميم فمكثوا فيهم زميناً ثم إن بني سعد أتوا الجونَ ملكَ هَجَرَ فَقَالُوا له : هل لك
في مُهْرَةٍ شوهاء وناقة حمراء وفناة عذراء ؟ قَالَ : نعم قَالَوا : بنو عبس غارُّونَ
تُغَيِّرُ عليهم مع جندك وتُسْهِمُ لنا من غنائمهم فأجابهم وفي بني عبس امرأة من سعدٍ
ناكحٌ فيهم فأتاها أهلُهَا ليضموها وأخبروها الخبر فأخبرت به زوجها فَاتَى قَيْسًا فأخبره
فاجمعوا على أن يرحلوا الطعائن وما قوى من الأموال من أول الليل ويتركوا النار في
الرَّثَّةِ (الرثة - بالكسر - السقط من المتاع والخلقان .) فلا يستنكر طعنهم عن منزلهم
وتقدم الفُرَّسان إلى الفَرُّوق فوقفوا دون الطُّعْنِ وبين الفروق وسوق هجر نصف يوم فإن
تبعوها قاتلوهم وشَغَلُوهم حتى تعجل الطُّعْنُ ففعلت ذلك وأغارَت جنود الملك مع بني سعد في
وَجْهِ الصبح فوجدُوا الطُّعْنُ قد أسْرَيْنَ ليلتهن ووجدوا المنزل خَلاءً فَاتَّبَعُوا
القَومَ حتى انتهوا إلى الخيل بالفَرُّوق فقاتلوهم حتى خلوا سربهم فمضوا حتى لحقوا
بالطُّعْنِ فساروا ثلاثة أيام ولياليهن حتى قَالَت بنت قيس لقيس : يا أبتِ أَسِيرِ الأَرْضَ فعلم
أن قد جُهِدَ فَقَالَ : أُنِيخُوا فَأَنَاخُوا ثم ارتحل وفي ذلك يقول عنتره :
ونحنُ مَنَعْنَا بالفَرُّوقِ نِسَاءَنَا ... نَطْرَفُ عِنْدَهَا مُشْعَلَاتٍ غَوَاشِيَا .
خَلَفْنَا لَهَا وَالْخَيْلُ تَدْمُ نَحُورُهَا ... نُفَارِقُكُمْ حَتَّى تَهْزُؤُوا
العَوَالِيَا .

أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ الْأَسِنَّةَ أَحْرَزَتْ ... بِقَيْسٍ تَدْنَا لَوْ أَنَّ لِلدَّهْرِ
بَاقِيَا .

وَنَحْفَظُ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَنَتَّقِي ... عَلَائِيَهِنَّ أَنَّ يَلْقَيْنَ يَوْمًا
مَخَازِيَا .

فلحقوا ببني ضبة وزعموا أن مالك بن بكر بن سعد وعَبْدُ سَاءٍ أَخَوَانِ لَأُمٍ وَيَقَالُ لهما :
ابنا ضخام فكانوا فيهم زميناً وأغارَت ضبة - وكانت تميم تأكلهم قبل أن يترببوا -

فاغاروا على بني حنظلة فاستاق رجل من بني عبس امرأة من بني حذاطلة في يوم قائط حتى بهررها ولهت فقَالَ رجل من بني ضبة : ارْفُقْ بها فَقَالَ العبسي : [ص 118] إنك بها لَرَحِيم ؟ فَقَالَ الضبي : نعم فاهوى العبسي لعجزها بطرف السنان فنادت : يا آل حذاطلة فشدَّ الصبي على العبسي فقتله وتنادى الحيان ففارقتهم عبس فمرت تريد الشام وبلغ بني عامر ارتفاعهم إلى الشام فخافوا انقطاعهم من قيس فخرجت وفود بني عامر حتى لحقتهم فدعتهم إلى أن ترجعوا ويخالفوهم فَقَالَ قيس : يا بني عبيس خالفوا قَوْمًا في صباة بني عامر ليس لهم عدَدٌ فيبغُوا عليكم بعددَهم فإن احتجتم أن يقوموا بنصرتكم قامت بنو عامر فخالفوا معاوية بن شكل فمكثوا فيهم ثم إن شاعراً - يُقَال : إنه عبد الله بن همام أحد بني عبد الله بن غطفان ويقال : إنه النابغة الذبياني - قال : . جَزَى الله عبيساً عبيساً آل بغيص ... جزاء الكلاب العاويات وقد فعل . برما انتهمكوا من رب عدنان جهرة ... وعوف يُناجيهم وذلكم جلال .

فأمدحتهم وأبى يفعَل ذلكم ... يعزكم مولى مواليكم شكل . فلما بلغ قيساً قال : ماله قاتله الله أفسد علينا حلفنا ؟ فخرجوا حتى أتوا بني جعفر بن كلاب فَقَالوا : نكره أن تتسامع العرب أنا حالفناكم بعد الذي كان بيننا وبينكم ولكنهم حلفاء بني كلاب فكانوا فيهم حتى كان يوم جيلة فتهايجوا في شأن ابن الجون قتله رجل من بني عبيس بعد ما كان أعتقه عوف بن الأحوص فَقَالَ عوف : يا بني جعفر إن بني عبس أدنى عدوكم إليكم إنما يجمعون كُرَاعهم ويؤحدون سلاحهم ويأسون قُرُوحهم فأطيعوني وشُدُّوا عليهم قبل أن يندملوا وقال : . وإنِّي وقَيْساً كالمُسمَّين كلابيه ... فخذَّ شهْ أزيابيه وأطافِره . فلما بلغ ذلك بني عبس أتوا ربيعة بن قُرط أحد بني أبي بكر بن كلاب فخالفوه فَقَالَ في ذلك قيس : .

أحاول ما أحاول ثم آوى ... إلى جاري كجاري أبي دؤاد . مَنيعٍ وسطٍ عكرمة بن قيس ... وهوبٍ لسطٍ ريفٍ وللتلاد . كفاني ما خشيت أبوه لال ... ربيعة فانتتهيت عن الأعادي . تطلَّ جرياده يسرين حولي ... بذات الرمث كالحدي العوادي . يوم شعواء .

ثم إن بني ذبيان غزوا بني عامر وفيهم بنو عبس في يوم شعواء وفي يوم آخر [ص 119] فأسر طلحة بن سنان قرواش بن هني فنسبه فكنى عن نفسه فَقَالَ : أنا ثور بن عاصم البكائي فخرج به إلى أهله فلما انتهى إلى أدنى البيوت عرفته امرأة من أشجع أمها عبسية

كانت تحت رجل من فَرَارة فَقَالَتْ لزوجها : إني أرى أبا شريح قَالَ : وَمَنْ أَبُو شريح ؟
 قَالَتْ : قرواش بن هنى أبو الأضياف مع طلحة بن سنان قَالَ : ومن أين تعرفينه ؟ قَالَتْ :
 يتمت أنا وهو من أبويننا فربَّـانا حذيفة في أيتام غَطَفان فخرج زوجها حتى أتى خزيم بن
 سنان فَقَالَ : أخبرتني امرأتي أن أسيرَ طلحة أخيك قِرْوَاش بني هنى فأتى خزيمُ طلحةَ
 فأخبره فَقَالَ : لا تغرني على أسيرى لتلبسه مني قَالَ خزيم : لم أرد ذلك ولكن امرأة فلان
 عرفته فاسمع كلامها فأتوها فَقَالَ طلحة : ما علمك أنه قرواش ؟ قَالَتْ : هو هو وبه شامةٌ
 في موضع كذا فرجعوا إليه ففتشُوهُ فوجدوا الذي ذكرت قَالَ قرواش : مَنْ عَرَفَنِي ؟
 قَالُوا فلانة الأشجَعِيَّة وأما عَيْسِيَّة ؟ قَالَ : ربَّـا شر حملته عَيْسِيَّة فذهبت مَثَلًا
 ودفع إلى حصن فقتله فَقَالَ النابغة الذبياني :

صبراً بَغْرِضُ بن رَيْثٍ إِنَّهَا رَحِمَ ... حُبَّتُمْ بِهَا فَأَنَّا خَتَكُم بِرِجَعِ جَاكِ .
 (حبتم بها : ارتكبتم الحوب وهو لإثم) .

فَمَا أَشْطَّتْ سَمِيَّةٌ إِنْ هُمْ قَتَلُوا ... بَنِي أُسَيْدٍ بِرَقَدَتِ لَيْ آلِ زَنْدِجَاعِ .
 كَانَتْ قُرُوصُ رَجَالٍ يَطْلُبُونَ بِهَا ... بَنِي رَوَاحَةَ كَيْلَ الصَّاعِ بِالصَّاعِ .
 (أقمنا ميل هذه الأبيات عن ديوان النابغة) .

سمى : هو ابن مازن بن فزارة . ولم تزل عيس في بني عامر حتى غزا غَزِيَّةً من بني عامر
 يوم شواحت بني ذبيان فأسر منهم ناس أحدهم أخو حنبل الضبابي أَسْرَهُ رَجُلٌ من بني ذبيان
 فلما نَفِدَتْ أيام عكاظ استودعه يهوديٌّ سَاحُ خَمَّاراً من أهل تيماء فوجدته اليهودي
 يخلفه في أهله فأجَبَ مَذَاكِرِهِ فمات فوثب حنبل على بني عيس فَقَالَ : إن غطفان قتل أخي
 فَدُّوه فَقَالَ قيس : إن يدي مع أيديكم على غطفان ومع هذا فإنما وَجَدَهُ اليهودي مع
 امرأته فَقَالَ حنبل : وإِني لو قَتَلْتَهُ الرِّيحَ لَوَدِدْتُ مُوَهُ فَقَالَ قيس لقومه : دُّوه
 وألحقُوا بقومكم فالموت في غطفان خير من الحياة في بني عامر وَقَالَ :
 لَحَا إِيَّاهُ قَوْمًا أَرَّثُوا الحَرْبَ بَيْدَنَا ... سَقُّوْنَا بِهَا مُرَّاً من الماء
 آجِنَا .

وكأيد ذَا الخِصْمَيْنِ إِنْ كَانَ ظَالِمًا ... وَإِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا وَإِنْ كَانَ شَاطِنًا .
 فهَلَا بني ذبيان أمُّكَ هَابِلٌ ... رَهْنَتُ بَغْدَادِ الرِّيحِ إِنْ كُنْتَ رَاهِنًا [ص 120] .

فلما ودَّتْ عَيْسُ أَخَا حنبل خرجتْ حتى نزلت بالحارث بن عوف بن أبي حارثة وهو عند
 حصن ابن حذيفة جاء بعد ساعة من الليل ف قيل : هؤلاء أضيافك ينتظرونك قَالَ : بل أنا
 ضيفهم فَحَدَّثَاهُمْ وَهَشَّ إِلَيْهِمْ وَقَالَ : مَنْ الْقَوْمُ ؟ قَالُوا : إخوانُكَ بنو عَيْسُ

وذكروا ما قالوا فأقروا بالذنب فَقَالَ : نَعَمْ وكرامة لكم أكلم حَصْنًا فرجع إليه فقيل لحصن : هذا أبو أسماء قَالَ : ما رده إلا أمر فدخل الحارث فَقَالَ : طرقتُ في حاجة يا أبا قَيْسٍ قَالَ : أُعْطِيَتْهَا قَالَ : بنو عَيْسٍ وَجَدْتُ وفُودَهم في منزلي قَالَ حصن : صالِحُوا قومكم أما أنا فلا أدى ولا أتَّددى قَدْ قَتَلْتُ آبائي وعُموستي عشرين من بني عبس فما أدركت دماءهم ويقَالَ : انطلقَ الربيعُ وقيسُ إلى يزيد بن سَدَنان بن أبي حارثة وكان فارسَ بني ذبيان فَقَالَ : انْعَمْ ظلاماً أبا ضمرة قَالَ : نَعَمْ ظلامُكما فَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : الربيع وقيس قَالَ : مرحباً فـالـا : أردنا أن تأتي أباك فتعيننا عليه لعله يَلُمُّ الشَّعْثَ وَيَرُّ أَبَ الصَّدْعِ فانطلقَ معها فَقَالَ لأبيه : هذه عبس قد عَصَيْت بِكَ رجاء أن تلائم بين ابني بغيض قَالَ : مرحباً قد آن للأحلام أن تَتَذُوبَ وللأرحام أن تنقى إني لا أقدر على ذلك إلا بحصن حُذيفة وهو سيدُ حلیم فائْتُوهُ فَأَتَوْا حَصْنًا فَقَالَ : مَنْ القوم ؟ قالوا : ركبنا الموت فعَرَفَهم قَالَ : بل ركبنا السلم مرحباً بكم إن تكونوا اخْتَلَلْتُمْ إلى قومكم لقد اختلَّ قومُكم إليكم ثم خرج معهم حتى أتوا سِنَانًا فَقَالَ له حصن : قُمْ بأمر عَشِيرَتِكَ وارأب بينهم فإني سأعينُكَ فاجتمعت بنو مرة فكان أول مَنْ سعى في الحَمَالَةِ حَرْمَلَةَ بن الأشعر ثم مات فَسَعَى فيها ابنه هاشمُ بن حَرْمَلَةَ الذي يقول فيه القائل : .

أَحْيَا أَبَاهُ هَاشِمُ بْنُ حَرْمَلَةَ ... يَوْمَ الْهَيَااتَيْنِ وَيَوْمَ
الْيَعْمَلَةِ .

تَرَى الْمُلُوكَ حَوَّلَهُ مُغَرِّبَلَةً (1) ... يَقْتُلُ ذَا الذَّنْبِ وَمَنْ لَا
ذَنْبَ لَهُ .

(1) (في العقد ... ترى الملوك حوله مرعبه ...) .

يوم قطن .

ولما حمل الحاملات وتراضى أبناء بَغْرِيصِ اجتمعت عَيْسٌ وذبيان بقطن وهو من الشربة فخرج حُصَيْن بن ضَمَضَمٍ يَخْلَى فرسه وهو آخذ بمرسئها فَقَالَ الربيع بن زياد : مالي عهد بحُصَيْن بن ضَمَضَمٍ مذ عشرين سنة وإني لأحسبه هذا قم يا بِيحَان (2) (في بعض الأصول " تيحان " وفي بعضها " تيجان ") فادْنُ منه ونَاطِقْهُ فإن في لسانه حُبْسَةً فقام يكلمه فجعل حصين يدنو منه [ص 121] فلا يكلمه حتى إذا أمكنه جال في متن فرسه ثم وَجَّهَهَا نحوه فلحقه قبل أن يأتي القوم فقتله بأبيه ضَمَضَمٍ وكان عنترة قتله وكان حصين آلى أن لا يمس رأسَه غسلٌ حتى يقتل بأبيه بِيحَان فانحازت عبس وحلفاؤها وقالوا : لا نصالحكم ما بلَّ بحرٌ مَوْفَةً وقد غَدَرَتْ بنا بنو مرة وتناهضَ الحيان ونادى الربيع بن زياد : مَنْ يبارز ؟ فَقَالَ سنان وكان يومئذ واجداً على ابنه يزيد : ادعوا لي ابني فأتاه هرم

بن سنان فَقَالَ : لا فأتاه ابنه خارجة فَقَالَ : لا وكان يزيد يَحْزَمُ فرسه ويقول : إن أبا
ضمرة غير غافل ثم أتاه فبرز للربيع وسَفَرَت بينهم السفراء فأتى خارجة بن سنان أبا
بيجان بابنه فدفعه إليه وَقَالَ : هذا وفاء من ابنك ؟ قَالَ اللهم نعم فكان عنده أياماً
ثم حمل خارجة لأبي بيجان مائتي بغير فأدَّى مائة وخط عنه الإسلام مائة فاصطلحوا وتعاقدوا
وفي ذلك يقول خارجة بن سنان : .

أعتبت عن آل يربوع قتيلاً هُمُ ... وكُنْتُ أدْءَى إلى الخيرات أطواراً .
أعتبتُ عَندهُمُ أبا بيجان أرسنها ... وُرْدًا ودُّهُمًا كمثل الذَّخْلِ أبْكَارًا .
وكان الذي ولي الصلح عوف ومعقل ابنا سبيع بن عمرو من بني ثعلبة فَقَالَ عوف بن خارجة
بن سنان : أما إذ سبقَني هذان الشيخان إلى الحمالة فهلُمَّ إلى الظل والطرَّعام والحملان
فأطعم وحمل وكان أحد الثلاثة يومئذ فصدَّروا على الصلح بعد ما امتدت الحرب بينهم سنين
قَالَ المؤرِّجُ السدوسي : أربعين سنة .

يضرب مَثَلًا للقوم وقَعُوا في الشر يبقى بينهم مدة